العراق ١٩٩٠ - ١٩٩١

محرقة الصحراء Desert holocaust

قال جندي في العشرين من عمره «هذا هو الجزء الذي لم أكن أريد رؤيته. كل المشردين، كل الأذى، عندما عبرنا مخيم اللاجئين، هذا شيء لم نكن بحاجة إليه».

قال الرقيب: «إنه في الحقيقة شيء محزن. يأتي إلينا أولاد صغار، وعندما يرون بندقيتي، يبدؤون بالبكاء. هذا في الحقيقة ما ينفطر له قلبي».

قال جندي آخر: «في الليل أنت تقتل ثم تواصل السير. إنك لا تتوقف. لست مضطراً لرؤية أي شيء. لم تعلمنا مؤخرة قواتنا قبل صباح اليوم التالي أن الدمار كان كلياً. لقد قتلنا الفرقة بكاملها»[١].

مع أن أمماً عديدة لها سجل رهيب في الأزمنة الحديثة بإلحاق معاناة شديدة في مواجهتها مع ضحاياها، فإن الأمريكيين كانوا حريصين على إبقاء أنفسهم على مسافة بينما ينزلون بالآخرين بعض أضخم أشياء العصر المرعبة: قنابل ذرية على شعب اليابان، قصف ساحق لكوريا أعادها إلى العصر الحجري، قصف الفيتناميين بقنابل النابالم والمبيدات الحشرية، تزويد بلدان أمريكا اللاتينية خلال ثلاثة عقود من السنين بأدوات وأساليب التعذيب، ثم يشيحون بأبصارهم ويصمون آذانهم لدى سماع صرخات الألم، وينكرون كل شيء.. والآن هاهم يقصفون شعب العراق بمئة وسبعة وسبعين باوناً من القنابل في أعنف هجوم جوي في تاريخ العالم.

ما الذي حمل الولايات المتحدة على تنفيذ هذا التدمير الذي لا هوادة فيه على مدى أكثر من أربعين نهاراً وليلة لإحدى أكثر دول الشرق الأوسط تقدماً واستنارة وعاصمتها العريقة والعصرية؟.

كـان هـذا في النصف الأول من عـام ١٩٩٠. كـان يتم هدم جـدار برلين على أساس يومي. وكان هناك ابتهاج بانتهاء الحرب الباردة وتفاؤل ببدء حقبة جديدة من السلام والازدهار. كانت إدارة بوش تتعرض للضغط لتخفيض الميزانية العسكرية الموحشة في ضخامتها وإقامة «عصرٍ من السلام». ولكن جورج بوش القائد الأعلى للقوات المسلحة، والعامل سابقاً في مجال النفط في ولاية تكساس، والمدير السابق لوكالة المخابرات المركزية، لم يكن على وشك إدارة ظهره إلى إخوانه الكثيرين في المجمّع العسكري والصناعي والمخابراتي. إنه يتهجم على الذين «يقطعون بسذاجتهم عضلة وضعنا الدفاعي» ويصرّ على أنه ينبغي لنا أن نتخذ موقف الحذر والحيطة تجاه الإصلاح في الاتحاد السوفييتي[٢]. لقد قيل في شهر شباط (فبراير): إن «الإدارة والكونغرس يتوقعان أعنف معركة في التاريخ الحديث حول ميزانية الدفاع» وفي شهر حزيران (يونيو) «تصاعد التوتر» بين الكونغرس والبنتاغون «إذ أن الكونغرس استعد لإعداد واحدة من أ هم ميزانيات الدفاع المحورية في العقدين الأخيرين من السنين»[٣]. بعد ذلك بشهر صوّتت لجنة فرعية في مجلس الشيوخ لتخفيض الطاقة البشرية العسكرية بما يقرب من ثلاث مرات أكثر مما أوصت به إدارة بوش.. «إن حجم التخفيضات وتوجهها يشيران إلى أن الرئيس بوش كاد يخسر معركته بشأن كيفية إدارة التخفيضات في الإنفاق العسكري»[٤].

خلال المدة ذاتها، كانت شعبية بوش تنخفض سريعاً من معدل ثابت هو ٨٠ بالمئة في شهر كانون الثاني (يناير) - عندما استفاد من موجة التأييد الشعبي لغزوه بنما في الشهر السابق - إلى ٧٣ بالمئة في شباط (فبراير) فإلى منتصف الستين في شهري أيار (مايو) وحزيران (يونيو)، ونزولاً إلى ٦٣ بالمئة في تموز (يوليو) ثم إلى ٦٠ بالمئة بعد ذلك بأسبوعين[٥].

كان جورج (هربرت ووكر بوش George Herbert Walker Bush) بحاجة إلى شيء دراماتيكي للاستئثار بالعناوين الرئيسية في الصحف وبتأييد الرأي العام، ولإقناع الكونغرس بأن الحاجة إلى جهاز عسكري قوي ليست الآن أقل مما كانت في الماضي لأن العالم لا يزال عالماً مخيفاً وخطراً.

ومع أن رواية واشنطن الرسمية للأحداث عرضت احتلال العراق للبلد المجاور الكويت، على أنه عدوان تعسفي ليس له مبرر، فإن الكويت كانت سابقاً في واقع الأمر إحدى مناطق العراق في أثناء الحكم العثماني وحتى الحرب العالمية الأولى. ولكن بعد الحرب، ومن أجل ممارسة فاعلية على العراق الذي يملك ثروة ضخمة من النفط، قررت وزارة المستعمرات البريطانية أن تجعل من البلد الصغير، الكويت، كياناً منفصلاً، في عملية هدفها قطع معظم منافذ العراق على الخليج الفارسي. وفي عام ١٩٦١ أصبحت الكويت مستقلة، ومرة أخرى لأن هذه كانت إرادة بريطانيا، فحشد العراق قواته على الحدود، ثم تراجع بعد أن أرسلت بريطانيا قواتها. إن حكومات العراق اللاحقة لم تقبل أبداً بشرعية هذه الأمور، وصدرت عنها تهديدات مماثلة في السبعينيات من القرن العشرين، بل جرى تجاوز الحدود مسافة نصف ميل إلى داخل الكويت في عام ١٩٧٦، ولكن بغداد كانت أيضاً منفتحة على حل وسط مع الكويت حصل العراق بموجبه على منفذ إلى جزره السابقة في الخليج[٦].

تكمن جذور النزاع الحالي في الحرب الوحشية بين العراق وإيران في المدة من عام ١٩٨٠ حتى عام ١٩٨٨. إن العراق الذي كان يخوض المعركة، اتهم الكويت بأنها كانت تسرق ما قيمته ٢,٤ بليون دولار من نفط حقل الرميلة الذي يمتد تحت الحدود العراقية - الكويتية المحددة بصورة غامضة. هذا الحقل الذي كان العراق يدعي انه يقع بكامله في الأرض العراقية، وان الكويت أقامت منشآت عسكرية وغيرها على الأرض العراقية، وأسوأ من كل ذلك أن الكويت ودولة الإمارات العربية المتحدة شرعتا بعد انتهاء الحرب مباشرة بزيادة كوتا الإنتاج المحددة من قبل منظمة البلدان المصدرة للنفط (اوبك)، فأغرقتا سوق النفط بالإنتاج وتسببتا في انخفاض الأسعار. كان العراق في حالة عسر وغارقاً في الديون بسبب الحرب الطويلة، وأعلن الرئيس العراقي صدام حسين أن هذه السياسة تشكل تهديداً متزايداً لبلده ووصف هذه الحالة بأنها «حرب اقتصادية»،منوهاً بأن العراق كان يخسر بليون دولار سنوياً مع كل هبوط بمقدار دولار واحد في سعر النفط[٧]، وأصر صدام حسين على

امتلاك جزيرتين في الخليج تحولان دون وصول العراق إلى الخليج، وعلى امتلاك حقل الرميلة دون منازع، إضافة إلى الحصول على تعويضات عن الخسارة في أسعار النفط.

في النصف الثاني من شهر تموز (يوليو) ١٩٩٠، بعد أن استمرت الكويت في الهزء من مطالب العراق المالية ومطالبه في الأرض، واستمرت أيضاً في تجاهل طلب منظمة أوبك إليها أن تلتزم الكوتا المخصصة لها، بدأ العراق يحشد أعداداً كبيرة من القوات على الحدود الكويتية.

ورد الفعل إزاء هذا كله من جانب القوة العظمى الوحيدة المتبقية في العالم والتي عينت نفسها شرطياً عالمياً، أصبح موضوع تحليل كثيف وموضوعاً قابلاً للجدل بعد أن غزا العراق الكويت فعلاً. ترى هل أعطت واشنطن العراق ضوءاً أخضر للغزو؟ هذا الجدل أشعلت ناره حوادث كالتالية:

١٩ تموز: صرح وزير الدفاع (ديك تشيني Dick Cheney) أن الالتزام الذي أعلنته أمريكا خلال الحرب بين العراق وإيران بأن تدافع عن الكويت إذا هوجمت لا يزال قائماً. هذه النقطة أكدها (بول وولفوفيتز Paul Wolfofwitz) نائب وزير الدفاع لشؤون السياسة في غداء خاص مع السفراء العرب. (من دواعي السخرية أن الكويت كانت متحالفة مع العراق خوفاً من هجوم إيراني). في وقت لاحق جرى تخفيف كلام تشيني من قبل المتحدث باسمه (بيت وليامز Pete Williams) الذي أوضح أن وزير الدفاع كان يتحدث «بدرجة من الحرية». بعدئذ قال البيت الأبيض لتشيني «إنك تلزمنا بحرب قد لا نريد أن نخوضها» ونصحه بشدة أن تكون التصريحات حول العراق صادرة من الآن فصاعداً عن البيت الأبيض ووزارة الخارجية[٨].

٢٤ تموز: أجابت (مارغريت توتوايلر Margaret Tutweiler) المتحدثة باسم وزارة الخارجية، على سؤال بقولها: «لا توجد بيننا وبين الكويت معاهدات دفاعية، ولا توجد التزامات دفاعية وأمنية تجاه الكويت». وعندما سئلت هل ستساعد

الولايات المتحدة الكويت إذا هوجمت؟. فقالت: «نحن نظل أيضاً ملتزمين التزاماً قوياً بتأييد الدفاع عن النفس فردياً وجماعياً لدى أصدقائنا في الخليج الذين تربطنا بهم روابط عميقة وطويلة الأجل» - هذا التصريح اعتبره بعض المسؤولين الكويتيين في أحاديث خاصة بأنه ضعيف جداً[٩].

٢٤ تموز: أجرت الولايات المتحدة مناورة عسكرية نادرة وغير مقررة مسبقاً بالاشتراك مع دولة الإمارات العربية المتحدة، وعند ذلك أعلن (بيت وليامز) نفسه: «نظل ملتزمين التزاماً قوياً بتأييد الدفاع عن النفس فردياً وجماعياً لدى أصدقائنا في الخليج الذين تربطنا بهم روابط عميقة وطويلة الأجل». وأعلن البيت الأبيض: «نحن قلقون من جراء الحشد العسكري العراقي. نحن نطلب من جميع الأطراف أن تبذل جهدها لتجنب العنف»[١٠].

٢٥ تموز: أبلغت السفيرة الأمريكية لدى العراق (إبريل غلاسبي April Glas-pie) صدام حسين شخصياً، بعبارة اكتسبت الآن شهرة: «إننا لا رأي لنا في النزاعات العربية - العربية كخلافكم على الحدود مع الكويت». ولكنها تابعت كلامها قائلة للزعيم العراقي: إنها قلقة من جراء نشره قوات كبيرة على الحدود الكويتية في سياق وصم حكومته إجراءات الكويت بأنها «موازية للعدوان العسكري»[١١].

٢٥ تموز: ألغى (جون كيلي John Kelly) مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط وجنوب آسيا تصريحاً كان مقرراً أن يصدر عن إذاعة صوت أمريكا محذراً العراق بكلمات مماثلة لتلك التي استعملها كل من توتوايلر ووليامز[١٢].

لعل صدام حسين لم يعرف بهذه الحادثة مع أنه كان هو شخصياً في شهر نيسان قد حصل على تأكيد من السيناتور (روبرت دول Robert Dole) زعيم الأقلية في مجلس الشيوخ الأمريكي الذي كان يتحدث باسم الرئيس الأمريكي أن إدارة بوش تنأى بنفسها عن تصريح صوت أمريكا الذي ينتقد انتهاكات العراق لحقوق الإنسان وتعارض أيضاً اقتراحاً في الكونغرس لفرض عقوبات اقتصادية على العراق[١٣].

٢٧ تموز: صوّت كل من مجلسي الشيوخ والنواب الأمريكيين على فرض عقوبات اقتصادية على العراق بسبب انتهاكاته لحقوق الإنسان. بيد أن إدارة بوش بادرت على الفور لتكرار معارضتها لهذا الإجراء(١٤).

٢٨ تموز: أرسل بوش رسالة شخصية إلى صدام حسين (الظاهر أنه أرسلها بعد استلامه تقرير غلاسبي عن اجتماعها مع الرئيس العراقي) محذراً إياه من استخدام القوة ولكن دون أن يشير مباشرة إلى الكويت(١٥).

٣١ تموز: أبلغ كيلي الكونغرس: «لا توجد بيننا وبين أي بلد في الخليج علاقة من نوع معاهدة دفاعية. هذا واضح.. نحن تاريخياً تجنبنا اتخاذ موقف إزاء خلافات الحدود أو إزاء المداولات الداخلية في منظمة أوبك».

سئل (لي هاملتون Lee Hamilton) عضو مجلس النواب إن كان صحيحاً القول أن الولايات المتحدة في حالة «عبور العراق الحدود إلى داخل الكويت» لا يوجد التزام من قبلها بموجب معاهدة تفرض عليها إرسال قوات أمريكية إلى هناك. أجاب كيلي: «هذا صحيح»(١٦).

في اليوم التالي (بتوقيت واشنطن) عبرت القوات العراقية تتقدمها الدبابات الحدود الكويتية، وفي الحال أعلنت الولايات المتحدة معارضتها الشديدة.

بالرغم من التصريحات الرسمية، يبدو أنه كان للولايات المتحدة موقف رسمي فعلاً حول خلاف الحدود بين العراق والكويت. عقب الغزو كانت إحدى الوثائق التي وجدها العراقيون في أحد ملفات المخابرات الكويتية مذكرة تتعلق بالاجتماع الذي عقد في تشرين الثاني ١٩٨٩ بين رئيس أمن الدولة الكويتي ومدير وكالة المخابرات المركزية (وليم وبستر William Webster)، جاء فيها مايلي:

«اتفقنا مع الجانب الأمريكي على أهمية الاستفادة من تدهور الوضع الاقتصادي في العراق لنمارس الضغط على حكومة ذلك البلد لتخطيط حدودنا المشتركة. لقد أعطتنا وكالة المخابرات المركزية وجهة نظرها في الوسيلة المناسبة للضغط، قائلة: «إن التعاون الواسع يجب أن يبدأ بيننا بشرط أن مثل هذه الأنشطة سيتم تنسيقها على مستوى رفيع».

وصفت وكالة المخابرات المركزية الوثيقة بأنها «اختلاق كامل». غير أن جريدة «لوس انجلس تايمز» نوهت «بأن المذكرة ليست تزويراً واضحاً، لاسيما لأنه لو كان المسؤولون العراقيون هم الذين كتبوها لكان من المؤكد أن يجعلوا منها أداة أكثر ضرراً للولايات المتحدة ولمصداقية الكويت»[١٧]. الظاهر أن الوثيقة كانت حقيقية ومسيئة بما فيه الكفاية إلى وزير خارجية الكويت - الذي أغمي عليه عندما جابهه نظيره العراقي بالوثيقة في مؤتمر قمة عربي في أواسط آب[١٨].

عندما سئل السفير العراقي في واشنطن لماذا بدت الوثيقة وكأنها مناقضة لتأكيد السفيرة الأمريكية غلاسبي للحياد في هذا الموضوع أجاب قائلاً إن كلامها كان «جزءاً لا يتجزأ من التركيبة»[١٩].

هل كان العراق منساقاً للولايات المتحدة والكويت؟ وهل جرى استفزاز صدام حسين للقيام بالغزو - توقعاً من المتآمرين لعل الغزو لن يتعدى منطقة الحدود - بحيث يمكن تقليص حجم صدام إلى الحد الذي يريده البلدان؟.

في شهر شباط ١٩٩٠ ألقى صدام حسين خطاباً في مؤتمر قمة عربي. كان يمكن لهذا الخطاب بالتأكيد أن يعطي زخماً لهذه المؤامرة. فهو أدان في خطابه استمرار الوجود العسكري الأمريكي في مياه الخليج العربي وحذر من أنه «إذا أخفقت جماعة الخليج ومعها بقية العرب في الاهتمام بالأمر، فإن منطقة الخليج العربي ستحكمها الإرادة الأمريكية». إضافة إلى ذلك ستملي الولايات المتحدة قراراتها بشأن إنتاج النفط وتوزيعه وأسعاره، «كل ذلك على أساس نظرة خاصة لها علاقة فقط بالمصالح الأمريكية ولا يُعطى وفق هذه النظرة أي اعتبار لمصالح الآخرين».

عندما ندقق في موضوع هل كانت هناك مؤامرة على العراق وصدام حسين؟ يجب أن نأخذ بعين الاعتبار، إضافة إلى المؤشرات المذكورة أعلاه، الأمور التالية:

لقد أكد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية أن واشنطن أحبطت فرصة التوصل إلى حل سلمي للخلافات بين الكويت والعراق في القمة العربية التي عقدت في شهر أيار، بعد أن كان صدام حسين قد عرض التفاوض مع الكويت على

حدود مقبولة من الجانبين. وقال عرفات: «كانت الولايات المتحدة تشجع الكويت على الامتناع عن تقديم أي حل وسط وهذا يعني أنه لم يكن ثمة مجال لحل عن طريق التفاوض بغية تجنب أزمة الخليج». وقال: إن الكويت أقنعت بدلاً من ذلك بأنها تستطيع الاعتماد على قوة الأسلحة الأمريكية[٢١].

على غرار ذلك، كشف الملك حسين ملك الأردن النقاب عن أن وزير خارجية الكويت صرح قبيل الغزو العراقي بقوله: «نحن لن نرد على العراق.. إذا لم يعجبهم ذلك فليحتلوا بلدنا.. نحن عازمون على إحضار الأمريكيين». كما أن أمير دولة الكويت أبلغ ضباطه العسكريين أن من واجبهم في حالة حدوث غزو أن يصدوا القوات العراقية لمدة ٢٤ ساعة وعندها «ستصل قوات أمريكية وأجنبية إلى الكويت وتطرد القوات العراقية». وعبر الملك حسين عن رأيه أن المفهوم العربي هو أن صدام حسين غُرّر به للقيام بالغزو، وبذلك أوقعوه في أنشوطة أعدت له[٢٢].

رفض أمير دولة الكويت الموافقة على طلبات العراق المالية، وعرض بدلاً من ذلك على بغداد مبلغاً مهيناً هو نصف مليون دولار. وقد وجه مذكرة إلى رئيس وزرائه قبل الغزو تحدث فيها عن تأييد مصر وواشنطن ولندن لهذه السياسة. وقال الأمير في مذكرته «كونوا ثابتين في محادثاتكم. نحن أقوى مما يعتقد العراقيون»[٢٣].

اعترف وزير النفط والمالية الكويتي بعد الحرب:

«ولكننا كنا نعلم أن الولايات المتحدة لن تسمح بهزيمتنا. أمضيت الكثير من الوقت في واشنطن لارتكاب هذه الغلطة. استقبلت سلسلة من الزوار هنا. كانت السياسة الأمريكية واضحة. صدام حسين وحده لم يفهمها»[٢٤].

ولكن لعلنا رأينا أسباباً عديدة لفشل صدام في فهمها.

لقد أعلن وزير خارجية العراق طارق عزيز أن هبوطاً حاداً في سعر النفط، كان شيئاً يستطيع الكويتيون تحمله بسهولة بما لهم من استثمارات واسعة في الغرب،

ولكن هذا الهبوط الحاد سوف يقلص إيرادات النفط المالية، وهذه الإيرادات تعتبر جوهرية بالنسبة لبغداد الجائعة للنقد. قال طارق عزيز «لم يكن من المعقول أن تتمكن الكويت من المجازفة بالمشاركة في مؤامرة بمثل هذا الحجم ضد بلد كبير وقوي كالعراق، لو لم تكن مسنودة ومحمية من قبل قوة عظمى، وما هذه القوة العظمى سوى الولايات المتحدة»[٢٥]. في الواقع ليس هناك مؤشر علني يدل إلى أن الولايات المتحدة، بالرغم من روابطها المالية الوثيقة جداً، حاولت إقناع الكويت باستغلال أي من أعمالها الاستفزازية ضد العراق.

ولم يكن يبدو أن أياً من واشنطن أو الكويت كانت قلقة كثيراً بشأن صد غزو لغزو. ففي الأسبوع السابق للهجوم العراقي، كان خبراء المخابرات يقولون لإدارة بوش بمزيد من الإلحاح أن ثمة احتمالاً لغزو جزء على الأقل من الكويت. هذه التنبؤات «يبدو أنها لم تستدعِ سوى القليل من الاستجابة من قبل الأجهزة الحكومية»[٢٦]. خلال تلك المدة كان بوش يتلقى شخصياً إيجازاً ويطلع على المعلومات ذاتها من(وليم وبستر) مدير وكالة المخابرات المركزية، الذي أطلع الرئيس على صور ملتقطة من الأقمار الصناعية لحشد قوات عراقية قرب الحدود الكويتية. وقيل: إن بوش أبدى قليلاً من الاهتمام[٢٧]. في الأول من آب اقتحم مسؤول الإنذار في وكالة المخابرات المركزية مكاتب موظفي قسم الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي قائلاً لهم: «هذا آخر إنذار لكم». وقال: إن العراق سيغزو الكويت في نهاية ذلك اليوم، وهذا ما حصل. ولكن هذا التحذير أيضاً لم تنتج عنه سرعة في العمل[٢٨]. أخيراً أرسل دبلوماسي كويتي مقر عمله في العراق، قبل الغزو، تقارير عديدة إلى حكومته ينذر فيها بغزو عراقي، فقوبلت هذه التقارير أيضاً بالتجاهل. إنه في آخر تقرير له حدد بدقة تاريخ الغزو (٢ آب) حسب توقيت الكويت. بعد الحرب، عندما عقد الدبلوماسي مؤتمراً صحفياً في الكويت للحديث عن تجاهل حكومته لتحذيراته، قام أحد الوزراء والعديد من ضباط الجيش بفض المؤتمر الصحفي[٢٩].

في شهر تموز، عندما كانت هذه الإنذارات جميعاً تقابَل ظاهرياً بالتجاهل، كان البنتاغون منهمكاً في تشغيل بريد القيادة بواسطة الكومبيوتر، الذي استُحدث في أواخر عام ١٩٨٩، تحديداً لاستكشاف الردود الممكنة على «تهديد عراقي» - هذا التهديد الذي حل في خطة الحرب الجديدة ٩٠-١٠٠٢، محل «التهديد السوفييتي» - إذ كان التمرين يعالج غزواً عراقياً للكويت أو المملكة العربية السعودية أو كليهما[٣٠]. في تمرين على أساليب الحرب جرى في الكلية الحربية التابعة للأسطول في مدينة (نيوبورت Newport) بولاية (رود آيلاند) كان مطلوباً من المشاركين في التمرين أن يقرروا ما هو الرد الأمريكي الأكثر فعالية على غزو عراقي مفترض للكويت،[٣١]. حين كان تمرين حربي آخر في قاعدة (شو Shaw) لسلاح الجو في ولاية كارولاينا الجنوبية، معنياً بتحديد أهداف القصف في العراق[٣٢].

وخلال شهري أيار وحزيران قدم مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في جامعة جورجتاون إيجازاً إلى البنتاغون، والكونغرس ومتعهدي الأعمال الدفاعية، إيجازاً مفصلاً لدراسة عن مستقبل الحرب التقليدية، أفادت أن الحرب الأكثر احتمالاً أن تنشب وتتطلب رداً عسكرياً أمريكياً هي حرب بين العراق والكويت أو المملكة العربية السعودية.

ثمة شخص آخر يبدو أنه كان يعرف شيئاً ما سلفاً هو جورج شولتز، وزير الخارجية في زمن ريغان، والذي عاد بعد ذلك إلى شركة (بكتل Bechtel) وهي شركة إنشاءات عملاقة. ففي ربيع العام ١٩٩٠، أقنع شولتز الشركة بالانسحاب من مشروع لبناء مصنع للبتروكيميائيات في العراق. «قلت إن شيئاً ما سيزداد سوءاً في العراق وينفجر، فإذا كانت شركة بكتل في العراق فإنها ستنفجر أيضاً، ولذلك طلبت من الشركة الانسحاب»[٣٤].

أخيراً، كشفت جريدة «واشنطن بوست» الأمر التالي:

«منذ الغزو، قررت تقييمات استخبارية أمريكية عالية السرية أن صدام حسين اعتبر التصريحات الأمريكية عن الحياد.. بمثابة ضوء أخضر من إدارة بوش للغزو.

لقد أبلغ مسؤول عسكري عراقي رفيع المستوى وكالة المخابرات المركزية أن صدام حسين فوجئ بصدق برد الفعل الحربي اللاحق[٣٥].

من جهة أخرى لدينا تصريح وزير خارجية العراق طارق عزيز الذي كان حاضراً في لقاء غلاسبي - صدام حسين:

«إنها لم تعطِ ضوءاً أخضر ولم تذكر ضوءاً أحمر، لأن مسألة وجودنا في الكويت لم تكن مثارة.. ونحن لم نعتبر أنه ضوء أخضر.. أي إذا تدخلنا في الكويت عسكرياً فلن يكون هناك رد فعل أمريكي. هذا لم يكن صحيحاً. لقد كنا نتوقع هجوماً أمريكياً صباح اليوم الثاني من آب»[٣٦].

ولكن لابد للمرء من أن يشكك في مثل هذا الموقف العرضي من هجوم أمريكي. وهذا الكلام، الذي ينفي في الواقع أن العراق أدى دور المخدوع، يجب دراسته في ضوء رفض الحكومة العراقية العنيد لبعض الوقت أن تعترف بالأذى الذي أصاب البلد من جراء القصف الأمريكي، وإصرارها على التهوين من عدد الإصابات العراقية.

كان موقف إدارة بوش هو أن البلدان العربية المجاورة للعراق، ولاسيما مصر، والمملكة العربية السعودية والأردن، كانت قد حثت الولايات المتحدة طوال الوقت على عدم قول أو فعل أي شيء من شأنه أن يستفز صدام حسين. علاوة على ذلك، وكما أكدت السفيرة غلاسبي، لم يكن أحد يتوقع أن يستولي صدام حسين على «كل» الكويت، وإنما في الأغلب على الأجزاء التي كان يطالب بها: الجزر وحقل النفط.

ولكن العراق، بطبيعة الحال، كان يطالب بالكويت «كلها: منذ قرن من الزمان».

الغزو:

عندما وقع الغزو العراقي، كان زمن الإشارات المختلطة قد انتهى. وأياً كانت الخطة الملتوية، التي قد يكون بوش نفذها، هذا إذا كانت هناك خطة من هذا

القبيل، فإنه قد استفاد استفادة كاملة من هذه الفرصة. ففي غضون ساعات، إن لم تكن دقائق، من اجتياز الحدود، بدأت الولايات المتحدة تعبئة القوات، ودان البيت الأبيض عمل العراق باعتباره «استخداماً صارخاً للعدوان العسكري» وطالب «بانسحاب جميع القوات العراقية فوراً وبدون شروط»، وأعلن أنه «يدرس كل الخيارات» في حين كان جورج بوش يعلن أن الغزو «يؤكد الحاجة إلى السير قدماً في إعادة تكوين قوات الدفاع الأمريكية»[٣٧].

قبل انقضاء ٢٤ ساعة، كانت قوة من الأسطول الأمريكي محملة بطائرات مقاتلة وقاذفة للقنابل في طريقها إلى الخليج العربي، وكان بوش يسعى إلى مشاركة قادة العالم في عمل جماعي ضد العراق، وحظر كل العلاقات التجارية مع العراق، وجمّد كل الممتلكات العراقية والكويتية في الولايات المتحدة. كما أن مجلس الشيوخ الأمريكي خذل محاولات وضع حد أو تجميد إنتاج طائرة الشبح القاذفة من طراز (ب٢- B2) بعد أن استغل أنصار الاقتراح غزو الكويت لتعزيز دعوتهم لصنع أسلحة تتفادى مراقبة الرادار وقالوا: «إن الهجوم العراقي «يثبت استمرار خطر الحرب والحاجة إلى أسلحة من نوع متقدم».. وقال السناتور رول: «إذا كنا بحاجة إلى أن يدعونا صدام حسين إلى اليقظة فإننا نستطيع على أقل تقدير أن نشكره على ذلك»[٣٨].

«بعد يوم واحد من استغلال غزو الكويت في سبيل إنقاذ القاذفة (ب-٢) عالية التقنية، استفاد أعضاء مجلس الشيوخ مرة أخرى من الأزمة يوم الجمعة لدرء تجميد بارجتين ممتازتين من أسطول الحرب العالمية الثانية»[٣٩].

خلال أيام، كان آلاف الجنود الأمريكيين ولواء مدرع يتمركزون في المملكة العربية السعودية أطلق على العملية اسم فخم هو «عملية درع الصحراء» وصارت زيادة الاهتمام بحاجات أمريكا العسكرية أمر اليوم السائد..

«بعد أقل من مرور عام على التبدلات السياسية في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي التي جعلت الصناعة الدفاعية تتراجع أمام التهديد بتخفيضات

دراماتيكية، قال المديرون والمحللون: «إن الأزمة في الخليج العربي وفرت للشركات العسكرية ومضة أمل صغيرة».

«إذا لم ينسحب العراق، واختلطت الأمور، سيكون ذلك لخير الصناعة. ستستمع من واشنطن كلاماً بلاغياً أقل عن مردود السلام»[٤٠]. هذا الكلام قاله (مايكل لوير Michael Lauer) في تحليل مع (كيدر بيبدي وشركاهما Kidder Peabody co.) في نيويورك.

أضافت جريدة «واشنطن بوست» إن الذين يحتمل انتفاعهم من الأزمة يشملون طيفاً من الشركات العاملة في الصناعة الدفاعية».

مع حلول شهر أيلول، شعر (جيمس وب James Webb) مساعد وزير الدفاع سابقاً ووزير الأسطول في إدارة ريغان، بدافع للكلام:

«يجب أن يكون الرئيس متنبهاً إلى أنه بينما يبذل معظم الأمريكيين أقصى الجهود لتأييده، يوجد مزاج من الصفاقة تحت ما يظهرون له من احترام. كثيرون يدّعون أن عملية تضخيم القوات هي أكثر قليلاً من «تمرين على ميزانية البنتاغون» هدفه تفادي تخفيضات لجيش يبحث عن مهمة، بينما بدأت القواعد في حلف شمال الأطلسي في الاختفاء»[٤١].

ما يلفت النظر، أن مساعداً آخر سابقاً لوزير الدفاع هو (لورنس كورب) كتب أن نشر القوات في المملكة العربية السعودية «يبدو أن دافعه هو المعارك المقبلة في الكونغرس حول الميزانية أكثر مما هو المعركة المحتمل خوضها ضد صدام حسين»[٤٢].

ولكن هل يمكن أن يكون هناك أشد صفاقة من عضو في الكونغرس يسعى متشامخاً لإعادة انتخابه؟ مع حلول شهر تشرين الأول كان بإمكاننا أن نقرأ ما يلي:

إن الخلفية السياسية للانتشار العسكري الأمريكي في المملكة العربية السعودية لعبت دوراً هاماً في الحد من تخفيضات ميزانية الدفاع في اتفاق يوم الأحد حول

الميزانية، الأمر الذي أوقف سقوط «حرية» الإنفاق العسكري الذي كان بعض المحللين قد تنبؤوا به قبل شهرين، حسب قول الذين ساعدوا في إعداد الميزانية. إن المخططين الاستراتيجيين في الكونغرس قالوا إن عملية درع الصحراء أحدثت تبدلاً كبيراً في المناخ السياسي للمفاوضات، وتغلبت على المشرّعين الذين كانوا يدافعون عن تخفيضات كبيرة في ميزانية الدفاع.

إن الحل الوسط لميزانية الدفاع لن يحافظ فقط على تمويل عملية درع الصحراء كاملاً، بل إنه سيحول دون تخفيض التمويل الذي كان ينفق كل عام استعداداً لمواجهة هجوم سوفييتي كبير على أوروبا الغربية[٤٣].

في أثناء ذلك، انتعش معدل شعبية جورج بوش. إن أول استطلاع للرأي أجري في آب بعد انشغال الولايات المتحدة في الخليج أظهر قفزة من ٦٠ بالمئة في أواخر شهر تموز إلى ٧٤ بالمئة. غير أنه يبدو أن الرأي العام الأمريكي بحاجة إلى الإسراع في إرسال محبي الوطن لكي يحافظ على حماسته للرجل الذي يشغل البيت الأبيض، ذلك لأنه بسبب ارتباك بوش الشديد في منتصف شهر تشرين الأول حول سبب وجود الولايات المتحدة في الخليج انخفض معدل تأييد الرأي العام له إلى ٥٦٪ – وذلك للمرة الأولى منذ انتخابه رئيساً، ولم يسبق أن كان أدنى من هذا المعدل، وبقي المعدل قريباً من هذا المستوى حتى شهر كانون الثاني كما سنرى[٤٤].

توطئة للحرب

بينما كان العراق ماضياً في نهب الكويت وتحويله إلى المحافظة العراقية رقم ١٩، كانت الولايات المتحدة تعزز حضورها العسكري في المملكة العربية السعودية وفي المياه المحيطة بها و – تستخدم شيئاً قليلاً من الإكراه وأكبر الرشا في التاريخ – لخلق «ائتلاف» يدعم قرارات الأمم المتحدة التي تقدمها الولايات المتحدة كما تدعم الجهد الحربي المقبل بطرق عديدة: ورقة تين تمثل احترام «تعدد الجنسيات» وعلى غرار ما فعلت واشنطن في كوريا، وغرينادا، وأفغانستان من أجل ما كان في الأساس

مهمة أمريكية، أي حرباً أمريكية. جرت مسامحة مصر بديون قيمتها عدة بلايين من الدولارات، بينما تلقت سورية، والصين، وتركيا، والاتحاد السوفييتي، وبلدان أخرى مساعدات عسكرية واقتصادية وقروضاً من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، وألغيت عقوبات أو جرى تحسين شروطها، ليس فقط من جانب الولايات المتحدة، بل بضغط من واشنطن، من جانب ألمانيا واليابان والمملكة العربية السعودية. وفي لمسة إضافية توقفت إدارة بوش عن انتقاد سجل حقوق الإنسان لدى أي عضو من أعضاء الإئتلاف(٤٥).

ولكن واشنطن ووسائل إعلامها لم يكونوا راضين عن ألمانيا لأنها لم تبادر بحماسة إلى الانضمام إلى عربة الحرب. إن الألمان الذين كانوا حتى الأمس مدانين بوصفهم فاشيين احتذوا الجزمات وغزوا بولندة وصاروا يوصفون الآن بأنهم «جبناء» لأنهم ساروا في مظاهرات كبيرة تدعو للسلام.

تقدمت واشنطن باثني عشر قراراً إلى مجلس الأمن تدين العراق وتفرض عقوبات اقتصادية قاسية وتحصل بموجبها على «تفويض» لشن الحرب. كانت كوبا واليمن البلدين الوحيدين اللذين صوتا ضد أي من هذه القرارات. وعندما قوبل مندوب اليمن بالتصفيق على تصويته السلبي على القرار الأساسي الذي يسمح باستخدام القوة بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني، كان وزير الخارجية الأمريكي (بيكر Baker) يرأس الجلسة وقد قال لوفده: «آمل أن يكون قد استمتع بهذا التصفيق لأنه سيتبين أن هذا هو اقتراعه الأغلى ثمناً في حياته». لقد نقلت الرسالة إلى اليمنيين وفي غضون أيام عانت هذه الدولة الشرق أوسطية الصغيرة من تقليص حاد في المساعدات الأمريكية (٤٦).

اعترف الأمين العام للأمم المتحدة خافيير بيريز دوكويار «بأن هذه لم تكن حرباً تخوضها الأمم المتحدة. والجنرال (شوارتسكوبف Schwarzkop) قائد قوات الائتلاف لم يعتمر خوذة زرقاء» (٤٧). إن السيطرة الأمريكية على الأمم المتحدة حفزت المعلق السياسي البريطاني (ادوارد بيرس) لأن يكتب أن الأمم المتحدة «تعمل

مثلما كان يعمل البرلمان الإنكليزي في القرون الوسطى: أي أنه كان يُستشار ويظهر أدب السلوك الاحتفالي، ولكنه كان متنبهاً للسلطات الإلهية أي كان يتمتم ويوافق»[٤٨].

إن المسألة الأهم في الولايات المتحدة سرعان ما أصبحت: كم من الوقت يجب أن ننتظر لكي تفعل العقوبات مفعولها قبل اللجوء إلى القوة العسكرية المباشرة؟ أصرت الإدارة الأمريكية ومناصروها على القول: إنهم يمنحون صدام حسين كل الفرص لإيجاد طريق سلمي منقذ لماء الوجه للخروج من الحفرة التي أوقع نفسه فيها. ولكن ظلت الحقيقة أنه كلما قدم الرئيس بوش أي نوع من العروض للزعيم العراقي، كان العرض مقروناً بإهانة عميقة، ولم يقدم صدام حسين قط أدنى إقرار بإمكانية وجود شرعية لأية من شكاوى العراق المعلنة [٤٩]. في حقيقة الأمر كان بوش قد وصف الغزو العراقي بأنه «غزو لم يسبقه استفزاز»[٥٠].

إن كلام الرئيس الأمريكي البلاغي ازداد حدة ومبالغة وصار على المستوى الشخصي، مصوراً صدام بأنه شيطان، على نحو ما كان يفعل مع نوريغا، وعلى نحو ما كان يفعل ريغان مع القذافي، وكأن هؤلاء الأجانب ليست لهم كرامة أو منطق كما لدى أمريكا. فيما يلي ما كتبته جريدة لوس أنجلس تايمز عارضة فيها وجهة نظرها في الموضوع:

«بعد الغزو العراقي بوقت قصير، حرص بوش على مقارنة العدوان العراقي بالعدوان الألماني على بولندة الذي فجر الحرب العالمية الثانية، ولكنه لم يصل إلى حد مقارنة الرئيس العراقي صدام حسين بادولف هتلر. هذه الحيطة خرطت من النافذة في الشهر الماضي، عندما لم يتوقف بوش عند حد مقارنة صدام حسين بهتلر، بل هدد أيضاً بمحاكمات لجرائم الحرب على غرار محاكمة (نورمبرغ). ثم إنه ذهب في الأسبوع الماضي إلى أبعد من ذلك، إذ أكد أن الزعيم العراقي أسوأ من هتلر لأن الألمان لم يستخدموا قط مواطنين أمريكيين «دروعاً بشرية» في المواقع العسكرية».

بعد هذا التقليل من شأن المحرقة، مضى بوش في كلامه إلى حد الإنذار بأن أي قبول لعدوان غير مسيطر عليه «يمكن أن يؤدي غداً إلى حرب عالمية». قال أحد المسؤولين في إدارة بوش «وصل إلى حيث يجب إخضاع كلامه البلاغي للسيطرة»[٥١].

لم يلبث صدام حسين أن أدرك أنه باستيلائه على كامل الكويت - إضافة إلى أعمال السرقة والنهب فيها - يكون قد قضم لقمة أكبر كثيراً مما يستطيع مضغه. في مطلع شهر آب ومرة أخرى في شهر تشرين الأول، أرسل إشارات لاستعداده لسحب قواته من ذلك البلد لقاء سيطرته وحده على حقل الرميلة، وضمان منفذ إلى الخليج الفارسي، وإلغاء العقوبات، وحل مشكلة أسعار النفط وإنتاجه[٥٢]. وشرع أيضاً بإخلاء سبيل بعض الأجانب الكثر الذين شاء لهم حظهم العاثر أن يكونوا في العراق أو الكويت في الزمن الخطأ، وقد استعاد آخرهم حريته في منتصف شهر كانون الأول. وفي وقت سابق من ذلك الشهر بدأ العراق برسم حدود جديدة مع الكويت، الأمر الذي كان يمكن أن يعني التخلي عن مطالبته بالكويت كجزء من العراق، مع أن معنى هذا العمل لم يكن واضحاً[٥٣]. وفي مطلع شهر كانون الثاني، كما سنرى، ظهرت أقوى إشارة منه للرغبة في السلام.

اختارت إدارة بوش عدم الرد بطريقة إيجابية على أية بادرة من هذا القبيل. فبعد العرض الذي قدمه صدام حسين في شهر آب، أنكرت وزارة الخارجية الأمريكية حتى مجرد وجود هذا العرض، بعد ذلك أكد البيت الأبيض وجوده[٥٤]. لقد جاء ما يلي في تقرير موجز صادر عن الكونغرس حول المسألة:

«يبدو أن العراقيين بغزوهم الكويت يعتقدون أنهم سيحظون بانتباه الجميع، وسيجري تفاوض على تحسينات في وضعهم الاقتصادي، ثم الانسحاب.. إن حلاً دبلوماسياً يرضي مصالح الولايات المتحدة كان بالإمكان التوصل إليه منذ الأيام الأولى للغزو».

لقد أرادت إدارة بوش، كما جاء في ورقة الكونغرس، تجنب الظهور بأي شكل بمظهر من يكافئ الغزو. ولكن ضابطاً في الجيش متقاعداً، كان يعمل وسيطاً في محادثات شهر آب، استنتج فيما بعد أن عرض السلام «كان يتحرك ضد السياسة»[٥٥].

بعد بلوغ الحشد العسكري الأمريكي نقطة معينة، هل كان بإمكان الولايات المتحدة أن تعطي السلام فرصة حتى إذا كانت راغبة في ذلك؟ لقد لاحظ مساعد وزير الدفاع السابق (لورانس كورب)، في أواخر تشرين الثاني أن كل مكونات المؤسسة الدفاعية كانت تدفع باتجاه القيام بعمل، وتقديم برهان على قيمتهم، وإثبات أنه ما تزال هناك حاجة إليهم، وضمان استمرار تمويلهم..

«مع حلول منتصف كانون الثاني.. سيكون للولايات المتحدة أكثر من ٤٠٠,٠٠٠ جندي في الخليج (تبين أن الرقم كان أكثر من ٥٠٠,٠٠٠) من جميع فروع القوات المسلحة الخمسة (أجل، حتى حرس السواحل كانوا من ضمنهم). هذا يعني نحو ١٠٠,٠٠٠ من الجنود زيادة عما كان لنا في أوروبا في أي وقت خلال الحرب الباردة. وسيكون للجيش، بالتالي، ثماني فرق على أرض المملكة العربية السعودية، أي ضعفي ما كان للجيش في أوروبا - سيكون هناك ثلثا كامل القوة المقاتلة من الجنود المارينز.. وسينشر الأسطول ستاً من مجموعات المعركة الحاملة للطائرات، وبارجتين من بوارجه الأربع، وواحدة من مجموعتيه البرمائيتين.. أما سلاح الجو فله هناك منذ الآن طائرات مقاتلة من تسعة أجنحة من مجموع أجنحته التكتيكية العاملة.. وكذلك طائرات قاذفة قنابل.. حتى احتياطي المقاتلين تقرر إرسالهم.. إن لوبي الاحتياطي رأى أن مستقبل تحويلهم قد يتعرض للخطر إذا لم تشارك وحداتهم.. ومثلما يريد كل فرع من القوات المسلحة أن يكون مشاركاً في الانتشار، ألا يريد كل منها جزءاً من العمل الفعلي؟.

تساءل ثورب، هل ستتمكن القيادة العليا العسكرية أن تقاوم ضغوط كل فرع؟ الأسطول، الذي أرسل بعض حاملات طائراته إلى مياه الخليج الضيقة والخطرة

لمجرد أن يكون أقرب إلى مكان العمل؟ والمارينز، الذين قد يودون أن يظهروا بالعمل استمرار حيوية الحرب البرمائية بواسطة شن هجوم على الساحل؟ وهل يستطيع الجيش أن يتخلف بينما القوات الجوية ناشطة طوال اليوم؟[٥٦]. (لم يكن بإمكانهم، وهذا ما أطال مدة الحرب).

إن العسكريين الأمريكيين والرئيس بوش يريدون استعراض قوتهم الهائلة، وأساليب الحرب الحقيقية ذات التقنية العالية، ولن يسمحوا لأية إشارات صادرة عن العراق أو لأي داعية سلام أن يفسد عليهم هذا الاستعراض: إن مجلة (فورتشن)، في ثناء بارع على جلد بوش وصموده، أجملت لاحقاً الفترة التي سبقت بدء الحرب على النحو التالي:

«عمل الرئيس ومساعدوه ساعات إضافية، لقمع صانعي السلام المستقلين في العالم العربي، وفرنسا والاتحاد السوفييتي الذي هدد بأن يوفر لصدام حسين طريقة تحفظ ماء الوجه للخروج من القفص الذي كان يهيئه بوش. وفوق ذلك كرر بوش القول المشهور: «لا مفاوضات، لا صفقات، ولا حفظ لماء الوجه، لا مكافآت، وتحديداً لا ربط مع مؤتمر السلام الفلسطيني (هذه نقطة كان أثارها العراق في عدة مناسبات)»[٥٧].

في ٢٩ تشرين الثاني أصدر مجلس الأمن الدولي تفويضاً باستخدام «كل الوسائل الضرورية» لإرغام العراق على الخروج من الكويت إذا لم يكن قد فعل ذلك حتى يوم الخامس عشر من كانون الثاني. خلال عيد الميلاد، كما علمنا، انكبّ بوش على قراءة كل صفحة من الصفحات الاثنتين والثمانين التي نشرتها منظمة العفو الدولية في تقرير يبعث على الألم عن أعمال الاعتقالات والاغتصاب والتعذيب في الكويت. بعد عطلة عيد الميلاد قال بوش لمعاونيه: إن ضميره مرتاح: «الأمر أسود وأبيض طيب مقابل شرير. يجب إيقاف الرجل عند حده»[٥٨].

لم يرد في الأخبار ما إذا كان بوش قد قرأ أياً من تقارير منظمة العفو الدولية، وهي كثيرة، عن تلك المدة، حول انتهاكات بشعة لحقوق الإنسان، والروح الإنسانية

التي ارتكبها حلفاء واشنطن في غواتيمالا، والسلفادور، وأفغانستان، وأنغولا ونيكاراغوا. إذا كان فعلاً قد قرأها، فإن هذه الأوراق كما يبدو كانت قليلة التأثير عليه، لأنه استمر في تأييد هذه القوى. كانت منظمة العفو الدولية قد تحدثت أيضاً عن وحشية العراق الفائقة على مدى أكثر من عقد من السنين، وقبل الغزو الذي وقع في آب ببضعة شهور فقط أدت المنظمة شهادتها حول هذه الانتهاكات أمام مجلس الشيوخ الأمريكي، ولكن ما من شيء من هذا كله ملأ جورج بوش بالاشمئزاز الصادق.

مع اقتراب الموعد النهائي أي الخامس عشر من كانون الثاني حبس العالم أنفاسه. هل كان ممكناً عدم إيجاد طريقة خلال خمسة شهور ونصف الشهر لتفادي شن حرب أخرى مرعبة على كوكب الأرض الحزين؟ في اليوم الحادي عشر قال دبلوماسيون عرب في الأمم المتحدة: إنهم تلقوا تقارير من الجزائر، والأردن واليمن، وجميعها على علاقات وثيقة مع العراق، تفيد بأن صدام حسين عازم على أن يعرض بسرعة مبادرة بعد الخامس عشر من الشهر يعبر فيها عن استعداده «من حيث المبدأ» بالانسحاب من الكويت لقاء ضمانات دولية بعدم الهجوم على العراق وعقد مؤتمر دولي لمعالجة المظالم الفلسطينية، والقيام بمفاوضات لحل الخلافات بين العراق والكويت. قال الدبلوماسيون: إن الزعيم العراقي يريد أن ينتظر يوماً أو يومين بعد الموعد النهائي ليظهر أنه لم يفعل ذلك بدافع الخوف.

بالنسبة للولايات المتحدة، التي انتشر نصف مليون جندي من قواتها في المملكة العربية السعودية على أهبة الاستعداد للمعركة لم يكن هذا الأمر مقبولاً. قال وزير الخارجية الأميركي بيكر: إن صدام حسين «سيجتاز الحافة عند منتصف ليل ١٥ كانون الثاني»، ولا يمكنه أن يتوقع إنقاذ نفسه بعرضه الانسحاب من الكويت بعد ذلك الوقت[٥٩].

تفسيرات جورج بوش المتعددة

«إن مهماتنا، وطريقة حياتنا، وحريتنا، وحرية البلدان الصديقة في سائر العالم سوف تتضرر إذا وقعت السيطرة على احتياطيات النفط الكبيرة في العالم في يدي

ذلك الرجل المدعو صدام حسين»[٦٠]. هكذا خاطب جورج هربرت ووكر بوش شعب أمريكا. وقد قال (ثيودور دريبر): «هذه الأسباب هي للاستهلاك وغير مقنعة».

إن حديث بوش عن «المهمات» في بداية كلامه يوحي بأنه على غرار ما يحدث في حملة سياسية داخلية، يسعى في المقام الأول لتوجيه نداء للحصول على تبرعات الغاضبين، غير أن ذلك كان سبباً كثير الغرابة للذهاب إلى الحرب، إذا وصلت الأمور إلى هذا الحد، في مكان يقع على الجانب الآخر من العالم»[٦١].

خلال كامل عملية الحشد الطويلة والاستعداد للحرب، وخلال الحرب ذاتها، وبعد الحرب، لا أحد كان متأكداً أنه يفهم ما سبب تدخل بوش في الخليج العربي، وما تبع ذلك من زج الولايات المتحدة في الحرب. إن أعضاء الكونغرس والصحفيين، ورؤساء التحرير، والمواطنين العاديين ظلوا يطلبون، بل كادوا أحياناً يتوسلون الرئيس أن يبين بوضوح وبدون لبس دوافعه، وبدون أن يناقض ما سبق أن قاله في الأسبوع السابق. (إن علماء الاقتصاد والمفكرين رأوا من الناحية المهنية أنه من المربك لهم أن يعترفوا بحيرتهم، وهذا ما أدى إلى كتابة العديد من المقالات المملوءة بكلام طنان هو من لغو الكلام).

الحيرة السائدة حفزت جريدة (وول ستريت جورنال) على تجميع عدد من «الناخبين» لبحث الأمور. قالت الجريدة عن المشاركين في الاجتماع «إنهم حائرون في معرفة ما حدث وهم يطالبون بأعلى الصوت بمزيد من المعلومات. كما أنهم غير مرتاحين إلى القول: إن السيد بوش يبدو وكأنه يبدل منطقه من يوم إلى يوم». وقال أحد المشاركين: «حتى الآن كان الأمر على غرار الأسباب العشرة الرئيسية التي قدمها (ديفيد بيترمان) لوجوده هناك. ثمة قصة مختلفة كل أسبوع أو نحوه»[٦٢].

حدوث ذلك في الخليج الفارسي، كما هو واقع الحال، قاد، بطبيعة الحال، إلى الاعتقاد بأن الذهب السائل له دور كبير، إن لم يكن كل الدور، في النزاع. غير أن هذه مقولة لا يمكن أن تسندها الظروف الراهنة. فالإمدادات ليست مشكلة - إن

وزارة الطاقة الأمريكية أقرت بأنه لا يوجد نقص في إمدادات النفط، كما أن المملكة العربية السعودية وبلداناً أخرى زادت إنتاجها بما يزيد عن التعويض عن نفط العراق والكويت المفقود، وعلماً أن نفط البلدين معاً يمثل نحو خمسة بالمئة فقط من الاستهلاك الأمريكي. كان هناك عالم بكامله مستعد لتقديم المزيد من النفط، اعتباراً من المكسيك إلى روسيا، إضافة إلى المصادر الأمريكية الكبيرة التي لم تستثمر. هذا يؤشر إلى الصعوبات التي يواجهها أي منتج فرد - سواء أكان صدام حسين أو أي منتج آخر - إذا حاول أن يتحكم بالسوق أو يسيطر عليها، وهذا بالتالي يطرح السؤال: ما الذي يمكن أن يفعله بلد كهذا بكل النفط، هل يشربه؟ مع حلول شهر كانون الأول قالت الأنباء: «إن منظمة أوبك تضخ نفطاً على أعلى المستويات منذ أوائل فصل الصيف، وما لم تنشب حرب في الشرق الأوسط تعطل إمدادات النفط، ستحدث مرة أخرى تخمة في النفط وتهبط الأسعار هبوطاً حاداً»[٦٣].

بالنسبة لأسعار النفط: ما الذي يريده رجال النفط أمثال جورج بوش وجيمس بيكر والولايات الأمريكية المفتقرة إلى النفط: ارتفاع الأسعار أم هبوطها؟ كلتا الفرضيتين يمكن الدفاع عنهما. (في شهر كانون الثاني ١٩٩٠ كانت الولايات المتحدة قد حثت صدام حسين سراً على محاولة رفع أسعار النفط من قبل أوبيك إلى ٢٥ دولاراً للبرميل)[٦٤]. ثم بأية سهولة تستطيع واشنطن أن تتحكم بالسعر صعوداً أو هبوطاً في وضع فوضوي؟ إن أسعار النفط، كما هو واقع الحال تتقلب على أساس منتظم، وفي الغالب بصورة حادة - بين عام ١٩٨٤ وعام ١٩٨٦ - على سبيل المثال - هبط سعر برميل النفط من نحو ٣٠ دولاراً إلى أقل من عشرة دولارات، بالرغم من استمرار الحرب بين العراق وإيران التي سببت انخفاضاً في إنتاج كلا البلدين.

بيد أن هذا التحليل للظروف المباشرة لا يأخذ بعين الاعتبار التأثير الرهيب والمستمر «للغز النفط» عن تفكير صانعي السياسة الأمريكيين. فإذا كان بوش يسعى إلى «أزمة» ليؤثر على تفكير أعضاء الكونغرس وليقنعهم بالخطر المديد للعالم الذي

نعيش فيه، عندئذ سيولد بالتأكيد تورطه في نزاع بين بلدين رئيسيين منتجين للنفط الأثر المرغوب فيه بصورة أكثر كثيراً مما إذا استغل هجوم بوليفيا على باراغواي أو احتلال غانا لساحل العاج.

إن كلام الرئيس الأمريكي عن طريقة الحياة الأمريكية والحرية للجميع إنما يعكس الجدية التي يعزوها هو وغيره من صانعي السياسة بصورة علنية إلى النفط، وهي جدية حياة أو موت. (إن ما يعتقده حقيقة هؤلاء الرجال ويشعرون به في كل حالة من الحالات هو شيء لا نستطيع نحن الاطلاع عليه). في وقت سابق من ذلك العام كان وليم وبستر مدير وكالة المخابرات المركزية قد أبلغ الكونغرس أن النفط «سيستمر في تأثيره الكبير على مصالح الولايات المتحدة» لأن «اعتماد الغرب على نفط الخليج العربي سيزداد بصورة دراماتيكية في العقد القادم من السنين». في حين أن الجنرال شوارزكويف، الذي كانت له روابط على مدى العمر مع الشرق الأوسط، قال في شهادة له: «إن نفط الشرق الأوسط هو دم الحياة بالنسبة للغرب. إنه يوفر لنا الوقود اليوم، ولأنه يمثل ٧٧ بالمئة من احتياطي النفط الثابت في العالم الحر، فإنه سيوفر لنا الوقود عندما تجف موارد بقية العالم.. ويُقدر أن الولايات المتحدة سوف تستنزف احتياطي النفط المتوفر لها خلال عشرين إلى أربعين عاماً، بينما يظل أمام منطقة الخليج العربي ما لا يقل عن مئة عام من احتياطي النفط الثابت»[٦٥]. لقد كان في الواقع ٦٩ في المئة في ذلك الحين، ومنذ انضمام الاتحاد السوفييتي إلى «العالم الحر» أصبح أقل من ذلك[٦٦]. ولابد من ملاحظة أن تنبؤ الجنرال الطيب بالنسبة للولايات هو على الأكثر من باب التخمين وأن عبارة «المتوفر اقتصادياً» هي إشارة إلى حقيقة أن احتياطي النفط الداخلي في الولايات المتحدة يكلف استثماره أكثر مما يكلف استثمار النفط في الخليج. ولكن هذا من شأنه فقط أن يجعل من ذلك مشكلة ربح وليس مشكلة توفير النفط. علاوة على ذلك فإن الإمكانات الواسعة الكامنة في موارد بديلة للطاقة يجب أن تدخل في هذه المعادلة.

في هذا الوقت كانت الولايات المتحدة – التي كانت كما يبدو فزعة من الخطر الذي يواجه إمدادات النفط من الخليج – تتلقى نحو ١١ بالمئة من نفطها من تلك المنطقة في حين أن اليابان التي تتلقى من المنطقة ذاتها ٦٢ في المئة من نفطها، وأوروبا التي تتلقى من المنطقة أيضاً ٢٧ في المئة من نفطها، كانا منزعجين كل الانزعاج باستثناء مارغريت تاتشر التي كان يخرج الزبد من فمها عندما تتحدث عن صدام والمستعمرة السابقة أي العراق[٦٧]. أما الرقم بالنسبة لألمانيا فهو ٣٥ بالمئة تقريباً، ومع ذلك فإن كلاً من بون وطوكيو كان مقدراً لهما أن تلوي واشنطن ذراعي كل منهما لمساندة المجهود الحربي. والواقع أن البلدين كانا كارهين لمساعدة الولايات المتحدة على امتلاك نفوذ أكبر والسيطرة على نفط المنطقة.

إن معالجة واشنطن الرسمية للغز النفط قد أدت إلى نشوء سياسة طويلة الأجل عبر عنها المحلل السياسي ناعوم شومسكي على النحو التالي:

«لقد كانت إحدى العقائد الموجهة للسياسة الخارجية الأمريكية منذ الأربعينيات من القرن العشرين، أن موارد الطاقة الهائلة في منطقة الخليج والتي لا توازيها موارد أخرى ستقع فعلياً تحت سيطرة الولايات المتحدة وعملائها، ولن يُسمح بصورة حاسمة لأية قوة مستقلة من أهل البلاد أن يكون لها تأثير هام على إدارة إنتاج النفط وأسعاره»[٦٨].

هذا لم يكن يعني دائماً استخدام القوة. ففي عام ١٩٧٣، عندما استخدمت أوبيك بزعامة المملكة العربية السعودية الزيادات الكبيرة في الأسعار والمقاطعة النفطية في محاولة لإرغام واشنطن على إقناع إسرائيل بالانسحاب من الأراضي التي احتلتها مؤخراً، لم تشن الولايات غزواً، ولم تهدد بالغزو. لقد حُلت المسألة عن طريق دبلوماسية طويلة الأجل وبدون إطلاق طلقة واحدة. إن ما أنقذ دول أوبك من مصير عنيف هو اقتران أمرين أحدهما حرب فيتنام التي كانت ترخي بثقلها على واشنطن، وكون إدارة نكسون على حافة السقوط بسبب ووترغيت.

إضافة إلى إصدار العديد من الإنذارات المرعبة في وقت مبكر من حيث العواقب الاقتصادية القاسية التي يسببها الغزو للولايات المتحدة، والتي لم تتحقق أبداً، أنذر بوش العراق بمصير أسوأ إذا احتل المملكة العربية السعودية، لم يكن هناك سبب يفسر وجود خطر على المملكة العربية السعودية. فلم تكن للعراق أية أهداف في السعودية، وهذا ما توضحه نظرة بسيطة إلى الخارطة. فالعراق له حدود طويلة مع المملكة العربية السعودية، ولم يكن مضطراً لعبور الكويت لغزو السعودية، وحتى إذا فعل، فإنه كان يمكن أن يقتحم السعودية بدون مقاومة خلال الأسابيع الثلاثة التي تلي استيلاءه على الكويت، وهذا ما اعترف به لاحقاً الجنرال كولن باول[٦٩]. إن المسؤولين في إدارة بوش أقروا في الواقع بأن وكالة المخابرات المركزية ووكالة المخابرات التابعة لوزارة الدفاع لم تكونا تعتقدان باحتمال أن يقدم العراق على غزو المملكة العربية السعودية[٧٠]. والسعوديون أنفسهم لم يخامرهم هذا الظن، إلى أن توجه وزير الدفاع الأمريكي تشيني بالطائرة إلى الرياض في الخامس من آب وأبلغ الملك فهد شخصياً أن بلده يواجه خطراً محتملاً كبيراً ويحتاج حاجة ماسة إلى حشد عدد كبير جداً من القوات العسكرية الأمريكية للدفاع عنه[٧١].

تراجع بوش عن مقولة النفط عندما اتهمه منتقدوه بأنه يحاول فقط حماية صناعة النفط. في شهر تشرين الأول قاطعه بعض الأشخاص خلال إلقائه خطاباً قائلين له: «السيد الرئيس، أعد قواتنا إلى الوطن من المملكة العربية السعودية! لا نريد سفك الدماء من أجل النفط!». وكان رد جورج بوش على ذلك - بينما كان الحرس يخرجون المقاطعين من القاعة - «تعلمون أن بعض الناس لا يفهمون الحقيقة أبداً. القتال ليس من أجل النفط. القتال هو بسبب عدوان صارخ نحن لن نسكت عنه». بعد ذلك بشهر، إذا لم يكن قبل ذلك بدأ الرئيس مرة أخرى يلعب ورقة النفط، رابطاً أمن أمريكا الاقتصادي بأمن المملكة العربية السعودية الاقتصادي. بعد ذلك بوقت قصير عاد إلى نغمة «الضرر المدمر الذي يحدث كل يوم» لاقتصاد الولايات المتحدة والاقتصاد الدولي عن طريق تعطيل أسواق النفط[٧٢].

فيما يتعلق بعدوان العراق الصارخ - وهي عبارة تتطلب مهارات ذاكرة انتقائية من النوع الرفيع صادرة عن حكومة تحتفظ بجميع السجلات الحديثة للاعتداءات على النطاق الدولي، سواء أكانت فاضحة أم غير ذلك، وصادرة عن رجل كان قبل أقل من شهر، قد غزا بصورة فاضحة بنما - كما أن كلاً من سورية وإسرائيل سبق أن غزتا لبنان ولا تزالان تحتلان أجزاء كبيرة من ذلك البلد، وخلال غزوها لبنان قصفت إسرائيل مدينة بيروت بلا رحمة، وبدون أن يصدر عن واشنطن أي تهديد بالحرب. إن صدام حسين، ولعله كان يستغرب تغيير الأميركيين لقواعد اللعبة، قال للولايات المتحدة: «أنتم تتحدثون عن عراق عدواني.. فإذا كان العراق معتدياً خلال الحرب مع إيران، ما الذي دفعكم إلى التحدث معنا آنذاك؟»[٧٣].

خلال ملحمة نضال العراق ضد آية الله الخميني، فعلت الولايات المتحدة ما هو أكثر من التحدث مع بغداد. لقد كانت واشنطن - التي رأت في العراق أنه الأقل شراً من التطرف الشيعي - مسؤولة عن كميات هائلة من الأسلحة، والتدريب العسكري، والتكنولوجيا المتطورة، والصور الفضائية الاستخباراتية، وبلايين الدولارات المتدفقة على صدام حسين المفتقر لها، والذي كان مدعوماً بسخاء من قبل الكويت والمملكة العربية السعودية، اللتين كانتا قلقتين من احتمال أن تمتد مشاعر العداء للأنظمة الملكية في إيران، إلى بلديهما. يوجد في الحقيقة دليل إلى أن واشنطن شجعت العراق على مهاجمة إيران وإشعال نار الحرب في المقام الأول[٧٤]. وخلال مساندة أمريكا لصدام حسين في تلك الفترة، كان هو بالتأكيد نفس الوغد المتوحش القمعي والكريه مثلما كان لاحقاً عندما واجه نار الكلام البلاغي الأمريكي عن الأخلاقيات. على غرار ذلك، وفي غياب التحريض الأميركي، لم تصدر عن الأمم المتحدة إدانة للغزو العراقي ولم تفرض الأمم المتحدة أية عقوبات ولم تقدم أية طلبات.

وحتى عندما حظرت الولايات المتحدة من الناحية الرسمية بيع أسلحة إلى كلا الطرفين المتقاتلين، كانت تقدم لهما سراً الأسلحة. إن الوحش الأسود الآخر في المنطقة، آية الله، تلقى أسلحة أمريكية ومعلومات استخبارية عسكرية عن العراق

خلال الحرب، من أجل تعزيز قدرة البلدين على إلحاق أكبر قدر من الدمار ببعضهما بعضاً وللحد من نموهما كدولتين قويتين في الشرق الأوسط.

على عكس العراق، العدو كان هنالك الآن «الحليفان» الأشد تورطاً أي المملكة العربية السعودية والكويت. ومع أن واشنطن لم تبالغ في الحديث عن «فضيلة» أي من هذين البلدين، كانت السياسة الرسمية دائماً أن للولايات المتحدة التزاماً مبدئياً بالدفاع عن المملكة العربية السعودية وتحرير الكويت. هذان البلدان لم يكونا زوجين جميلين. فالمملكة العربية السعودية أظهرت بصورة دائمة تطرفاً في عدم التسامح الديني، واعتقال الناس بدون إذن قضائي، والتعذيب والجلد[٧٥]. كما أنها مارست التفرقة بين الذكور والإناث وقمع النساء بصورة دائمة، واستعباد العمال الأجانب عندها، ورجم الزاني بالحجارة وبتر أيدي اللصوص. وكان مطلوباً من رجال الدين الأميركيين الموجودين في البلد أن ينزعوا الصلبان ونجمة داوود عن ملابسهم وأن يسموا أنفسهم «دعاة أخلاقيين»[٧٦].

ومن الغرابة بمكان أن الكويت كانت حاقدة على أمريكا في سياستها الخارجية[٧٧]. ومع أن الكويت كانت من الناحية الاجتماعية أكثر استنارة من المملكة العربية السعودية (ولكن أقل من العراق) فقد كانت تحكمها مع ذلك إحدى الأسر التي تمارس حكم الأقلية (pligarchy)، والتي أقفلت البرلمان في عام ١٩٨٦، ولم يكن في الكويت وجود لأحزاب سياسية ومنعت السلطات أي نقد للأمير الحاكم، ولم يكن عدد السكان الذين يتمتعون بأية حقوق سياسية يزيد عن ٢٠٪ من مجموع السكان. وبعد إعادة البلد إلى دكتاتورية أصحاب الحق سلكت بطريقة بالغة الوحشية تجاه سكانها كثيري العدد من العمال الأجانب، فكانت تسجنهم عدة شهور بدون اتهام أو محاكمة كما أن فرق الموت أعدمت عشرات من الناس. لقد قالت منظمة العفو الدولية: «إن تعذيب السجناء السياسيين كان أمراً روتينياً وواسع الانتشار». واختفى ما لا يقل عن ثمانين شخصاً وهم قيد الاعتقال. إن الذين

استهدفتهم الحملة التي نفذت بوجود آلاف الجنود الأمريكيين كانوا بالدرجة الأولى المتهمين بالتعاون مع العراقيين، مع أن هذا التعاون كان بالنسبة لمعظمهم أمراً لا خيار لهم فيه، إضافة إلى أن المتورطين في التعاون كانوا أعضاء في حركة وليدة تنادي بالديمقراطية. علاوة على ذلك أرغم حوالي أربعمئة عراقي على العودة إلى العراق بالرغم من مخاوف أن يطالهم هناك الأذى أو يواجهوا الإعدام[٧٨].

إن النخبة في المنطقة لم تظهر الكثير من الامتنان لكل ما قال جورج بوش أن أميريكا تفعله من أجلهم. لقد قال أحد المسؤولين في منطقة الخليج: «تظنون أنني أريد إرسال ابني الذي في العقد الثاني من عمره لكي يموت من أجل الكويت؟» هذا المسؤول ضحك وأضاف: «لدينا رقيقنا الأبيض من أمريكا وهو الذي سيموت من أجل الكويت». معلم مدرسة سعودي رأى الأمر بالطريقة التالية: «الجنود الأميركيون هم نوع جديد من العمال الأجانب عندنا. لدينا باكستانيون سائقو سيارات تاكسي والآن صار لدينا أميركيون يدافعون عنا». قال أحد الدبلوماسيين اليمنيين مفسراً غياب الامتنان الصريح من قبل زعماء الخليج: «إن العديد من حكام الخليج ببساطة لا يشعرون أن من واجبهم أن يشكروا الناس الذين استأجروهم للقتال بدلاً منهم»[٧٩]. إذا وضعنا كل شيء آخر جانباً، فإن الناس في العالم العربي كانوا شديدي الحساسية تجاه قتل المسلمين والعرب على يد الأجانب، وتجاه الوجود العسكري الأجنبي على الأرض العربية، الذي يذكرهم بقرن من الاستعمار الغربي الأبيض.

لقد حذر بوش أيضاً من أن العراق يشكل تهديداً نووياً. هذا صحيح ولكن بالمقابل هذا ما فعلته الولايات المتحدة وفرنسا وإسرائيل، وكل بلد آخر يمتلك أسلحة نووية. أما العراق من الناحية الأخرى ووفقاً لأقوال خبراء أميركيين وبريطانيين وإسرائيليين، كانت تفصله مدة تتراوح بين خمسة أعوام وعشرة أعوام عن امتلاك القدرة على صنع واستخدام أسلحة نووية[٨٠]. ومن غير المحتمل أن الرئيس نفسه كان يعتقد بوجود خطر كهذا. إن تحذيره جاء فقط بعد استطلاع للرأي أظهر أن العديد من الأميركيين يشعرون بأن منع العراق من امتلاك أسلحة نووية هو الحجة الأكثر إقناعاً للذهاب إلى الحرب[٨١].

ثمة عامل لم يذكره بوش كسبب للتدخل ولكنه في الواقع عامل ربما لعب دوراً هاماً، وهو رغبة البنتاغون بعقد أو تعزيز اتفاقيات مع بلدان منطقة الخليج بشأن استمرار الوجود العسكري الأمريكي، ويبدو أنه تم إحراز تقدم كبير على هذه الأسس[٨٢] سبق للجنرال شوارزكوبف أن أبلغ الكونغرس أن «الوجود الأمريكي» في الخليج هو أحد ثلاثة من أعمدة الاستراتيجية العسكرية الشاملة، إضافة إلى المساعدات الأمنية والتمارين العسكرية المشتركة وكل هذه تؤدي إلى «حق الوصول» البالغ الأهمية الذي يمكن للمرء أن يعتبره التعبير المجازي عن النفوذ والسيطرة[٨٣]. بعد الحرب كشف النقاب عن وجود شبكة من «القواعد الكبرى» لأنظمة الاتصالات العسكرية في المملكة العربية السعودية. أمضت الولايات المتحدة عشر سنوات في بناء هذه القواعد، وتم ذلك بمنتهى السرية وبلغت كلفتها نحو ٢٠٠ بليون دولار دفعتها المملكة العربية السعودية فكان استعمالها خلال حرب الخليج استعمالاً لا يستغنى عنه. وهذا قد يفسر سبب تحرك بوش بسرعة فائقة للدفاع عن المملكة العربية السعودية ضد تهديد غير قائم[٨٤].

«أوقفوني قبل أن أقتل ثانية»!

درس جوزيف ستالين استعداداً ليكون كاهناً.. وكان هتلر لا يأكل اللحوم ومعادياً للتدخين.. وبينما كان سلاح الجو الألماني (Luftwaffe) بقيادة (هيرمان غويرنغ) يمطر موتاً على أوروبا، احتفظ غويرنغ بلوحة في مكتبه حملت الكلمات التالية: «من يعذب الحيوانات يؤذي مشاعر الشعب الألماني».. هناك حقيقة اعتبرها (إيلي فايزل) أكبر اكتشاف من اكتشافات الحرب: أن (إدولف ايخمان) كان مثقفاً يستوعب ما يقرأ وعازفاً على الكمان.. وأن (تشارلز مانسون) كان متحمساً في معارضة تقطيع الحيوانات لأغراض التجارب الطبية (vivisectionist).

فيما يتعلق ببنما، وكما رأينا، قال جورج بوش بعد أن أصدر أمره بقصفها: «إن قلبه يتفطر من أجل العائلات التي ماتت في بنما» وعندما سئل «هل كان الأمر يستحق إرسال الناس كي يموتوا من أجل ذلك؟ أي للقبض على نورييغا؟» أجاب:

«حياة كل إنسان غالية ومع ذلك يجب علي أن أجيب بكلمة نعم، فقد كان الأمر يستحق ذلك».

فيما يتعلق بالعراق قال بوش: «يقول لي الناس: كم عدد الأرواح؟ كم عدد الأرواح التي تستطيع أن تستغني عنها؟ أقول لهم: «إن كل روح غالية»[٨٥].

قبل أن يصدر أمره مباشرة ببدء الحرب على العراق في كانون الثاني، صلى بوش وانحدرت دموع على وجنتيه. وقد قال فيما بعد: «أظن أنني على غرار آخرين في مواقع المسؤولية من حيث إرسال أبناء الآخرين إلى الحرب، ندرك أن المهم في الصلاة هو كيف يمكن أن تبدو أمام الله»[٨٦].

يستخلص المرء أن الله ربما كان قد سأل جورج بوش عن الأولاد في العراق وعن الأشخاص البالغين. وأن يكون قد صرخ بطريقة لا تشبه أسلوب الله «إذن أوقف خسارة كل الأرواح الغالية منذ الآن!».

كانت الدبابات تجرّ محاريث بمحاذاة الخنادق، وتطلق النار على الجنود العراقيين في خنادقهم، بينما كانت المحاريث التي تجرها الدبابات تغطيهم بكميات كبيرة من الرمل. آلاف منهم دفنوا تحت الرمل أمواتاً أو جرحى أو أحياء[٨٧].

لقد أطلقت القوات الأمريكية النار على الجنود العراقيين بعد أن رفع العراقيون الرايات البيض علامة الاستسلام. وقائد سلاح البحرية الذي أصدر الأمر بإطلاق النار لم يعاقب[٨٨].

دمر القصف مفاعلين نووين يتم تشغيلهما في العراق. وكانت هذه أول مرة تقصف فيها مفاعلات قيد التشغيل. وقد يكون هذا القصف سابقة خطرة. ولم يكن قد مر أكثر من شهر منذ أن أصدرت الأمم المتحدة التي يفترض أن الولايات المتحدة تعمل بتفويض منها، قراراً يعيد تأكيد «حظرها الهجمات العسكرية على منشآت نووية» في الشرق الأوسط[٨٩]. لقد كانت معامل متعددة للأسلحة الكيماوية ومعامل مزعومة لإنتاج أسلحة للحرب البيولوجية، هي بدورها أهدافاً للقنابل الأمريكية.

آنذاك أعلن الجنرال شوارزكوبف أن قواته كانت حريصة على انتقاء وسائل تدمير هذه المنشآت والمنشآت النووية أيضاً وأنها «فعلت ذلك بعد الحصول على كثير من مشورة عدد كبير من علماء بارزين جداً جداً». وأن قواته «كانت متأكدة بنسبة ٩٩,٩٪» أنه لا يوجد «أي تلوث»[٩٠]. بيد أن العلماء الأوروبيين وعلماء البيئة اكتشفوا آثار أسلحة كيماوية انتشرت نتيجة للقصف كما اكتشفوا عوامل كيماوية وبخاراً ساماً أطلقت نتيجة الغارات الجوية التي أودت بأرواح عشرات المدنيين[٩١].

كانت الحكومة الأمريكية ووسائل الإعلام الأمريكية تتسلى كثيراً بقطعة كان واضحاً أنها دعاية عراقية، أي الإدعاء بأن منشأة الأسلحة البيولوجية التي قصفت كانت في الواقع معملاً لمواد غذائية للأطفال. ولكن تبين أن حكومة نيوزيلاندا وكثيرين من رجال الأعمال النيوزيلانديين الذين كانوا على صلة وثيقة بالمعمل أكدوا بصورة قاطعة أنه فعلاً معمل لإنتاج مواد غذائية للأطفال[٩٢].

لقد استخدمت الولايات المتحدة على نطاق واسع قنابل اليورانيوم المنضب والصواريخ، مخلفة أطناناً من الركام المشع والسام في الكويت والعراق. وقد حذرت سلطة الطاقة الذرية في المملكة المتحدة، في تقرير سري صدر في شهر نيسان ١٩٩١، من أنه «إذا اختلط اليورانيوم المنضب في المواد الغذائية أو المياه فإنه سيخلق مشاكل صحية محتملة». إن اليورانيوم ٢٣٨ الذي يستخدم في صناعة الأسلحة، يمكن أن يسبب السرطان والعاهات في البشر إذا استنشق. واليورانيوم هو أيضاً سام من الناحية الكيميائية، شأنه شأن الرصاص. استنشاقه يسبب تسمماً معدنياً شديداً أو أضراراً للكلية أو الرئتين. ومن المؤكد تقريباً أن الجنود العراقيين الذين كانوا يقبعون في خنادقهم خلال الهجمات قد تسمموا بسحب الغبار المشع[٩٣].

عانى السكان المدنيون معاناة قصوى من جراء القصف الذي لم يتوقف. إن هيئة المراقبة في الشرق الأوسط، وهي منظمة تعنى بحقوق الإنسان قد جمعت وثائق عن حالات كثيرة من قصف المساكن، والأسواق المزدحمة بالناس والجسور

الملأى بالمشاة والسيارات الحديثة، وقصف محطة مركزية لسيارات الباص تعج بالناس. وكان ذلك يحدث عادة في ضوء النهار دون أن يكون في نطاق النظر أمام الطيارين مبنى حكومي أو هدف عسكري من أي نوع، ولا حتى مدفع مضاد للطائرات[٩٤].

في الثاني عشر من شباط أعلن البنتاغون أن «كل ما ومن هو عسكري قد دمر أو أبطل مفعوله»[٩٥]. مع ذلك حدث في اليوم التالي قصف متعمد لملجأ من الغارات الجوية يضم مدنيين وأسفر القصف عن قتل ما لا يقل عن ١٥٠٠ مدني، عدد كبير منهم نساء وأطفال. وتبع ذلك قصف شديد لأجزاء مختلفة من العراق بمعدل يومين طوال الأسبوعين المتبقيين من الحرب، بما في ذلك ما قالت جريدة «الغارديان» اللندنية في الثامن عشر من الشهر: «أنه «هجوم من أشرس الهجمات التي شنتها قوات الإئتلاف على وسط بغداد»[٩٦].

ماذا كانت الغاية من حملة القصف بعد الثاني عشر من الشهر ذاته؟ قالت الولايات المتحدة: «إنها ظنت أن الملجأ كان لكبار الشخصيات، وهو كان كذلك في وقت ما، وادعت أنه كان يستخدم مركزاً للاتصالات العسكرية، لكن سكان المنطقة المجاورة للملجأ أصروا على القول: إن أعمال الاستطلاع الجوية المستمرة كان لابد أن تلاحظ تدفق الرجال والنساء يومياً إلى داخل الملجأ[٩٧]. وقال مراسلون صحفيون غربيون أنهم لم يتمكنوا من رؤية أية إشارات تدل على استخدام عسكري[٩٨].

كتب صحفي أمريكي يعمل في الأردن بعد أن شاهد شريط فيديو عن الدمار، وهو شريط لم يطلع عليه الرأي العام الأمريكي إطلاقاً:

«أظهر الشريط مشاهد مذبحة لا تصدق. إن جميع الجثث تقريباً تفحمت، وفي بعض الحالات كانت درجة الحرارة مرتفعة إلى حد أن أطراف بشر بكاملها احترقت.. ورجال الإنقاذ انهاروا حزناً وأسقطوا الجثامين، وبعض رجال الإنقاذ تقيؤوا من جراء رائحة الأجسام التي مازالت تحترق»[٩٩].

قال (مارلن فتزووتر Marlin Fitzwater) المتحدث باسم البيت الأبيض عقب قصف الملجأ: «إنه كان «هدفاً عسكرياً».. ولا ندري لماذا كان مدنيون في هذا الموقع، ولكننا كنا نعلم أن صدام حسين لا يشاطرنا إيماننا بقيمة قدسية الحياة»[١٠٠] وعندما واجه جورج بوش نقداً بسبب حملة القصف قال: «أنا مهتم بمعاناة الأبرياء»[١٠١].

إن التعطيل الكامل لشبكة الكهرباء ضاعفت بطريقة هندسية فظاعة حياة الناس في العراق. فالعراق باعتباره بلداً عصرياً كان يعتمد على الطاقة الكهربائية للخدمات الأساسية مثل تنقية المياه وتوزيعها ومعالجة الصرف الصحي، وتشغيل المستشفيات والمختبرات الطبية، والإنتاج الزراعي. ولذلك فإن الأضرار التي سببها القصف، والتي فاقمها النقص في إنتاج الكهرباء الذي يعزى إلى الحظر الذي فرضته الأمم المتحدة/ الولايات المتحدة، قد خفض ناتج الكهرباء إلى ثلاثة أو أربعة بالمئة من المستوى الذي كانت عليه قبل الحرب، وموارد المياه انخفضت إلى خمسة بالمئة، وإنتاج النفط لم يعد يؤبه به، وأصاب الدمار نظام توزيع المواد الغذائية، وانهارت شبكة الصرف الصحي، فغمرت المياه القذرة، وسادت البلد حالات أمراض الجهاز الهضمي وسوء التغذية[١٠٢].

زار فريق من المعنيين بالصحة العامة من جامعة هارفارد منشآت صحية في مدن عراقية عديدة بعد انقضاء شهرين على انتهاء الحرب. واستناداً إلى الأبحاث التي أجراها هذا الفريق، قال، بشيء من التحفظ، إن «ما لا يقل عن ١٧٠,٠٠٠ طفل تحت سن الخامسة سيموتون في السنة المقبلة من جراء الآثار المتخلفة» عن تدمير الطاقة الكهربائية، والوقود ووسائل النقل، وإن «زيادة كبيرة في عدد الوفيات بين بقية السكان هي أيضاً أمر محتمل. السبب المباشر لحدوث الموت في معظم الحالات سيكون انتقال المرض بالعدوى عن طريق الماء مقترناً بسوء التغذية في أشد حالاته» [١٠٣] أحد أعضاء فريق جامعة هارفارد وفريق أبحاث زار لاحقاً العراق شهد أمام الكونغرس بأن «الأولاد يلعبون في مياه الصرف الصحي التي تتجمع في

الشوارع».. وقال اثنان من أشهر علماء العالم في سيكولوجيا الأطفال: إن الأولاد في العراق هم «الأكثر تأذياً بسبب الحرب» (١٠٤).

وعلى الرغم من تكرار تصريحات السلطات الأمريكية عن إبداء أشد الحرص على قصف الأهداف العسكرية فقط، واستخدام «القنابل الذكية» ومن ثم القنابل الموجهة و«الضربات الجراحية»، فإننا نعلم الآن أن هذا الكلام لا يعدو كونه ممارسة للدعاية Propoganda، مثلما كان الحديث عن هذه المعاناة على أنها «ضرر مصاحب». اعترف البنتاغون بعد الحرب بأن المنشآت غير العسكرية استهدفت على نطاق واسع لأسباب سياسية(١٠٥). إن الدراسات الشاملة التي أجرتها الحكومات بعد الحرب العالمية الثانية توصلت إلى استنتاج أن «رهبة المرض والمشقات التي يفرضها فقدان المنشآت الصحية لابد أن يكون لها تأثير محبط للمعنويات على السكان المدنيين» وأن هناك «علاقة أكيدة وملفتة للانتباه بين تعطيل وسائط الخدمات العامة واستعداد الشعب الألماني لقبول الاستسلام بدون شروط(١٠٦).

في حالة العراق ثمة دافع آخر شجع المواطنين اليائسين على الانتفاض للإطاحة بصدام حسين. قال أحد المخططين في سلاح الجو الأمريكي:

«صورة كبيرة، أردنا أن يعرفها الناس «تخلصوا من هذا الشخص وسنكون أكثر من سعداء بمساعدتكم في إعادة البناء. لن نتحمل صدام حسين أو نظام حكمه. تولَّوا أنتم هذا الأمر، ونتولى نحن قضية الكهرباء عندكم»(١٠٧).

الذين حاولوا النجاة من فظائع القصف في العراق عن طريق الهرب إلى الأردن تعرضوا لغارات جوية على الطريق الرئيسية بين بغداد والحدود الأردنية – لقد هوجمت مراراً سيارات باص، وسيارات تكسي، وسيارات خاصة، فعلاً بلا رحمة، بالصواريخ والقنابل العنقودية والمدافع الرشاشة، كان يجري ذلك في وضح النهار، وكانت أهداف القصف مدنية بكل وضوح وكانت الأمتعة ظاهرة أكواماً على سقوف السيارات، دون أن تكون هناك في مدى الرؤية أية سيارات أو مبان عسكرية في أي

مكان، بل كانت المناطق المقصوفة محاطة بالصحراء، وكانت الطائرات المهاجمة تحلق على انخفاض كبير.. فكانت سيارات باص ملأى بالركاب تحترق، وعندما كان الناس يغادرون السيارات هاربين لإنقاذ حياتهم، كانت الطائرات في أغلب الأحيان تنقض عليهم وهي تطلق النار.. صرخ سائق تكسي أردني في وجه مراسل صحفي أمريكي «أنتم تقتلوننا، تطلقون النار على كل ما يتحرك! حينما تشاهد الطائرات سيارة أو شاحنة تنقض من السماء وتطاردها. إنهم لا يهتمون بمن نحن أو ما نحن. ما يهمهم فقط إطلاق النار». صرخته هذه رددها مئات غيره.. يبدو أن العسكريين الأمريكيين كانوا يشعرون أن أية مركبة، بما في ذلك المركبات المليئة بالعائلات، قد تكون تغطية لنقل وقود عسكري أو مادة حربية أخرى ربما أشياء تتعلق بصواريخ سكود، حتى نقل الوقود للمدنيين كان يعتبر انتهاكاً للحظر المفروض على العراق[١٠٨].

عندما انتهت الحرب كلياً وعندما كان الجائعون، والجرحى، والمرضى، والمرهقون، والتائهون، والذين فقدوا معنوياتهم، المتدثرون بالأسمال، وأحياناً رجال الجيش العراقي الحُفاة، هذا الجيش الذي بالكاد أبدى أي رغبة بالقتال وكان أفراده يغادرون الكويت متجهين إلى البصرة في جنوب العراق، حاول صدام حسين أن ينقذ شيئاً من الكرامة المهانة بإعلانه أن جيشه كان ينسحب بسبب «ظروف خاصة». ولكن حتى هذا الكلام كان أكثر مما يقبله جورج بوش. فقد قال الرئيس الأمريكي بلهجة قوية: «آخر خطاب ألقاه صدام حسين مثير للغضب: إنه لا ينسحب بل إن قواته المهزومة تتراجع. إنه يحاول ادعاء النصر في خضم الهزيمة».

هذا لم يكن بالإمكان السماح به. وهكذا كانت القوة الجوية الأمريكية بكل عظمتها تكتسح الطريق إلى البصرة وتقصف كل شيء يتحرك بالقنابل والصواريخ والمدافع الرشاشة في رتل العسكريين العراقيين الطويل والمركبات المدنية والجنود واللاجئين. هؤلاء الجنود الأمريكيون الطيبون الذين يخافون الله سيتم الترحيب بهم عما قريب في وطنهم وسيجري استقبالهم كأبطال، ويقام لهم احتفال.. «شربنا النخب».. هذا الصباح كانت السيارات متلاصقة. «كسبنا الرهان».. «أكلنا ديكاً

روميـاً».. «هذا الصبـاح كنا في الطريق إلى (خليج دايتـونا Daytona Beach) عند بداية فصل الربيع.. وبداية فصل الربيع قد انتهت».

مرة بعد أخرى، وفيما كانت مكبرات الصوت المحمولة على سيارة (رينجر) تبث معزوفة روسيني (افتتاحية وليم تل) كانت قوة ضاربة بعد أخرى تقلع بما تحمله من الصواريخ والقذائف المضادة للدبابات والقنابل العنقودية التي كانت تمطر المناطق بقذائف مضادة للدروع، وشاركت طائرات قاذفة من طراز (ب -٥٢) بقصف العراق بقنابل من وزن ألف باوند.. «لن يتطلب الأمر عدداً كبيراً من الأيام الأخرى حتى لا يبقى شيء منهم».. «صيد سمك في برميل».. «أساساً هم مجرد طيور بط ساكنة».. «الحقيقة لا شيء يشبه ذلك. إنه أكبر احتفال بيوم الرابع من تموز رأيناه بحياتنا، ورؤية تلك الدبابات وهي تسير وتطلق المزيد من قذائفها.. إنها فقط تصبح بيضاء من شدة الحرارة. هذا شيء رائع».

مع أن جريدة (اندبندنت Indipendent) البريطانية اليومية كانت مؤيدة للحرب، إلا أنها استنكرت ابتهاج الأمريكيين بإطلاق النيران قائلة، إن هذا أمر يبعث على الإقياء وإنه لأمر يصيب الإنسان بالغثيان عندما يشاهد جيشاً مهزوماً تطلق النار عليه من الخلف»[١٠٩].

أوجز مراسل لهيئة الإذاعة البريطانية الهجوم بالسؤال التالي: «أي تهديد يمكن أن يشكله هؤلاء المساكين من بقايا جيش صدام حسين المهزوم؟ ألم يكن واضحاً أن هؤلاء الأشخاص الذين تنقلهم السيارات كانوا مستعدين للاستسلام بدون استعمال هذه الأسلحة الرهيبة؟»[١١٠].

كل ذلك كان يجري ضد خصم مابرح منذ خمسة أيام يطالب بوقف لإطلاق النار.

ولكن لا سمح الله فالأمريكيون لن يغضبوا أحداً من شعوب منطقة الخليج. وهكذا فقد جرى تعليم الجنود الأمريكيين أشياء من قبيل عدم استخدام اليد اليسرى عندما يقدمون طعاماً أو شراباً، لأن هذه اليد مخصصة تقليدياً للمهمات

الصحية، والطريقة الصحيحة لكي تومىء إلى عربي هي باستخدام يد واحدة وأصابعها حتى لا يختلط الأمر مع مناداة كلب[١١١].

لقد اطلعنا أيضاً على قصة الطيار الأمريكي الذي وضع ضمن وثائق التعريف بنفسه، خلال عملية القصف السابقة، ورقة نقود من فئة عشرين دولاراً، وورقة تحمل كلمات باللغة العربية والفارسية والتركية والانكليزية. تقول هذه الكلمات: «أنا أمريكي لا أعرف لغتكم. لا أحمل أي ضغينة نحو شعبكم». بعد ذلك أقلع مخترقاً الأجواء نحو العراق بالقنابل التي تحملها طائرته[١١٢].

تُرى هل يحمل الجنود الأمريكيون ضغينة نحو زميلاتهم المجندات؟ لقد أظهرت دراسة أجريت بعد الحرب أن أكثر من نصف النساء اللواتي شاركن في حرب الخليج يشعرن أنه جرى التحرش بهن جنسياً بصورة لفظية، في حين أن ثمانية بالمئة منهن (نحو ٣٠٠٠) تعرضن لمحاولة اعتداء جنسي أو اعتداء جنسي فعلي[١١٣].

مباشرة بعد أن أصدر جورج بوش أمره ببدء القصف قفز معدل شعبيته إلى ٨٢٪ في استطلاعات الرأي، وكان هذا أعلى معدل حصل عليه خلال السنتين اللتين أمضاهما في منصبه، بل إنه أعلى من المعدل الذي ناله بعد غزو بنما[١١٤].

لقد كتب أحد الصحفيين في وقت لاحق مايلي:

«إن دقيقة واحدة من الصدق الليلي عن هذه الحرب (الشعبية) كان من شأنها أن تغيّر الرأي العام الأمريكي.. فإذا كانت ستون ثانية هي مدة نشرة أخبار السادسة يوم الاثنين أظهرت خمسة آلاف جندي عراقي مصابين بحروق فوسفورية غيرت التشريح البشري الذي تبع مجزرة الملجأ من الغارات الجوية في بغداد ليلة الثلاثاء.. ماذا لو أن الأمريكيين شاهدوا يوم الأربعاء عشرة آلاف جندي عراقي يحترقون بأسلحة أمريكية عالية التقنية؟»[١١٥].

منذ غزو العراق للكويت في شهر آب، وبالرغم من التصريحات اللاذعة والكلام البلاغي الصادر عن البيت الأبيض، ثمة شيء واحد بدا واضحاً تمام الوضوح: لو

كان العراق وافق على الانسحاب من الكويت لما كانت قد حدثت الهجمات العسكرية ضده أو لكانت توقفت بغض النظر عن العقوبات الأخرى التي كان يمكن استمرارها. وهكذا بدا كشعاع من الأمل - مهما كان متأخراً- نجاح الاتحاد السوفييتي بتاريخ ٢١ - ٢٢ شباط ١٩٩١ بإقناع العراق بالموافقة على الانسحاب كلياً في اليوم الذي يلي بدء تنفيذ وقف إطلاق النار في جميع العمليات العسكرية. إن هذه الموافقة اقترنت بجداول زمنية محددة وبعملية رصد(١١٦).

لكن جورج بوش رفض أن يعرض وقفاً لإطلاق النار. بل إنه لم يستطع أن يتقبل ذكر هذه الكلمة في أجوبته. إن كل ما كان يقوله هو أن القوات العراقية المتقهقرة لن تهاجم (وتبين أن ذلك لم يكن صحيحاً) وأن قوات الائتلاف «ستمارس ضبط النفس». كان بإمكان صدام حسين أن يعتبر ذلك وقفاً لإطلاق النار، ولكنه لم يكن يقلّ عن جورج بوش كبرياء وعناداً.

إن النقطة التي أكثر جورج بوش التأكيد عليها خلال هذين اليومين الحاسمين، كما فعل في السابق، هي أن العراق يجب أن ينفذ كل قرارات الأمم المتحدة الاثني عشر. عند تقييم مطالب بوش من الناحية القانونية يجب أن نأخذ في الاعتبار أن سياسة وممارسة الحرب الأمريكية كانت تكراراً تنتهك نص وروح ميثاق الأمم المتحدة، ومواثيق لاهاي، ومواثيق جنيف، ومحكمة نورمبرغ، وبروتوكولات اللجنة الدولية للصليب الأحمر، والدستور الأمريكي، بين وثائق أخرى(١١٧).

في نهاية الأمر أعطى بوش صدام حسين أربعاً وعشرين ساعة للبدء بالانسحاب من الكويت. وعندما حان الوقت وانقضى، شنت الولايات المتحدة حرباً برية كانت متوقعة منذ زمن طويل، بينما استمرت الغارات الجوية، بما فيها القصف العنيف للطريق المؤدية إلى البصرة، حتى نهاية الشهر. لقد قال (فيتالي اغناتنكو) وهو أحد المتحدثين باسم الرئيس السوفييتي ميخائيل غورباتشوف: «يبدو أن الرئيس غورباتشوف أكثر اهتماماً من الرئيس بوش بإنقاذ أرواح الجنود الأمريكيين»(١١٨).

أعلن فريق تفتيش تابع للأمم المتحدة، في عملية مسح أجراها بعد الحرب أن القصف الذي نفذته قوات الحلفاء كان له «تأثير يقرب من الآخرة» على العراق، وحوّل هذا البلد إلى «دولة من قبل عصر الصناعة» بعد «أن كان العراق حتى شهر كانون الثاني يشكل مجتمعاً عالي التمدن ويستخدم الآلات»[١١٩].

لن نعرف أبداً عدد مئات الآلاف من العراقيين الذين ماتوا من جراء آثار الحرب المباشرة وغير المباشرة، فالرقم إلى ازدياد كل يوم. ومع رفض الأمم المتحدة إنهاء الحظر المفروض على العراق، استمر كل شيء: سوء التغذية، الجوع، فقدان الأدوية والمصول، تلوث مياه الشرب، تراكم غائط الإنسان، التيفوئيد، وما يقرب من وباء الحصبة، وعدة أمراض أخرى.. لقد كان توفير المواد الغذائية للعراق يعتمد بنسبة ٧٠٪ على الاستيراد، أما الآن فإن بلايين الدولارات قد جُمدت في حسابات وراء البحار، مع قيود تمنع بيع نفطه.. والعجز عن إعادة البناء لأن أجزاء حيوية لا يمكن استيرادها، كما أن الصناعة أغلقت أبوابها، وانتشرت البطالة انتشاراً واسعاً، وانهارت أنظمة النقل والاتصالات[١٢٠] مع حلول شهر أيلول ١٩٩٤، ورفض الحكومة الأمريكية المستمر تخفيف قبضة الموت على الحظر، إذ كانت لا تزال تأمل أن تصل المعاناة إلى جماهير مؤثرة وأن يعمد الشعب العراقي إلى الإطاحة بصدام حسين بينما أعلنت الحكومة العراقية أنه منذ بدء تطبيق العقوبات في شهر آب ١٩٩٠ توفي حوالي ٤٠٠,٠٠٠ طفل بسبب سوء التغذية والأمراض[١٢١].

بعد الحرب وبينما كانت الحكومة العراقية تقمع ثورة كردية – شجعت عليها الولايات المتحدة ولكنها امتنعت بعد ذلك عن دعمها – قال بوش: «أشعر بالإحباط في أي وقت يُقتل فيه مدنيون أبرياء»[١٢٢].

كانت هذه المرة الثانية التي قادت فيها الولايات المتحدة الحملات الكردية إلى الذبح بواسطة التزام لم تفِ به (راجع فصل العراق ١٩٧٢ – ٧٥).

كانت واشنطن قد شجعت المسلمين الشيعة في العراق على التمرد ثم امتنعت عن دعمهم. ولم تكن الولايات المتحدة تنظر إلى مساندة حكومية عراقية تزعج

تركيا، ولا إلى حكومة شيعية قد تصبح حليفة لإيران أو تُلهم السلفيين المسلمين في كل مكان من الشرق الأوسط.

إن مستشفيات الأمراض العقلية الأمريكية والسجون الأمريكية هي منزل لأشخاص كثيرين يدَّعون أنهم سمعوا صوتاً يناديهم ويطلب منهم قتل أشخاص معينين، أشخاص لم يسبق لهم أن التقوا بهم، أشخاص لم يفعلوا أي شيء يسبب لهم الأذى أو هددوا بأي أذى.

لقد ذهب الجنود الأمريكيون إلى الخليج العربي ليقتلوا نفس هذا النوع من الناس بعد سماعهم صوتاً يأمرهم بذلك: صوت جورج هربرت ووكر بوش.

obeikandl.com